بعضُ الإرثِ قلوب

خواطر

مريم توركان

الإهداء

إنْ كُنتَ لا تَملِكُ شيئًا فانظر حولك.. رُبما يَكونُ إرثُكَ بقلبِ أحدهم وأنتَ لا تدري.

مريم توركان

الفهرس:

1_يا ابنَ قلبي

2_من قلبي إليك

3_رأيتُكَ في منامي

4_أُشفِقُ عليكَ منّي

5_بعضُ الإرثِ قلوب

6_شِيَم وقِيَم

7_كفٌّ مريم

8_ليتهُ يعودُ فتعود

9_نِعمَ الرَجُلُ مُعلّمي

10_هديةُ الرحمٰن لمريم

11_إلى فاطمة بلعجمية

12_يوسف والوردة الحمراء

13_أمرٌ مُشين

14_ويُسبّحُ الرَعْدُ بِحَمده

15_مِنَح رمضان (الجزء الأوّل)

16_مِنَح رمضان (الجزء الثاني)

17_مِنَح رمضان (الجزء الثالث)

18_مِنَح رمضان (الجزء الرابع)

19_ مِنَح رمضان (الجزء الخامس والأخير)

20_رمضان شهرٌ يتجدّد فيهِ العزم

1_(يا ابنَ قلبي)

لا تحزن يا ابنَ قلبي، فحُزنكَ يكسرُ خاطري، ويُشعِلُ لهيبَ الغضبَ بنفسي، ويطعنُ نياطي كَخنجرٍ مسموم.

يا ابنَ قلبي كُن بخيرٍ لأجلكَ فأنتَ أمانتي فيكَ، فإيَّاكَ إِيَّاكَ أنْ تُؤذيني فيك، حافِظ عليكَ لأجلي، ولتعلم بأنَّكَ رَّوحي بجسدٍ ثاني.

يا ابنَ قلبي إنَّ النساءَ قد حَمَلنَّ أجنّتهُنَّ بأرحٰمهنَّ.. لكنَّني حملتُكَ بقلبي، وغذّيتُكَ بروحي عبرَ نياطي.

يا ابنَ قلبي قد قِيلَ في السابقِ أنَّ المُحِبَّ لمَن يُحِبُّ مُطيع، لكنَّ الحقيقةَ أنَّ المُحِبَّ لمَن أحبَّ أمين، فالطاعة أمرٌ مفروغ منه، أمَّا الأمانةَ فهي الفيصل بينَ الحُبّ وما كانَ دونَ ذلك؛ فالمُحِبّ إنْ خلا من الأمانةِ خلا من الأمانِ الذي هو أساس الحُبّ.

يا ابنَ قلبي باللَّهِ عليكَ لا تندم على ما فات، فلو كانَ خيرًا ما أضحى من الذكريات، ولا تَغتَم فراحة بالك هي الأهمّ.

يا ابنَ قلبي حنانيكَ بقلبي فما يضرّك يضرّني، فهوّنها عليكَ تهون، وأعلم أنَّكَ على قلبي لا تهون، يا جوهري المكنون.

يا ابنَ قلبي إنَّما أنتَ أنا وأنا أنتَ، ويكأنَّ رَّوحي قد اِنشطرتْ من روحكَ وصارتْ بجسدي.

يا ابنَ قلبي أحِنُّ إليكَ حنانَ الفرعِ لأصله، أشتاقُ إليكَ شوق الشَّمسِ للصباح، أفتقدُكَ اِفتقادك الزُّغْلُول لأُمّه.

يا ابنَ قلبي خُذ عهدًا على نفسكَ ألَّا تحزنَ بعدَ اليوم، وفوّض أمورك للرحمٰن، وتفاءل خيرًا دومًا، ولا تنسَ ذكر اللَّهِ يومًا.. واحفظني بقلبكَ فإنَّهُ سَكني ومَسكني.

2_**(من قلبي إليك)**

عرفتُكَ أكثر حينَ أحسستُ بِك، فالإحساس أبدًا لا يخون؛ إذ هو نابعٌ من القلبِ محلّ البصيرة، فحينَ أقولُ أنَّكَ حُلوٌ فأعلم أنَّكَ كذلك.

أنْ يَراكَ أحدهم بَعينٍ مُختلفة عن سائرِ الأعيُن، أنْ يضعكَ بمنزلةٍ خاصّة من قلبه، أنْ تكونَ مُميّزًا بالنسبةِ له، أنْ تكونَ ذِكرًا طيّبًا بذاكرته، أنْ يَسعدَ بوجودكَ ويشعر ويكأنَّهُ حِيزتْ لهُ الدُّنيا بحذافيرها، أنْ تتسارع نبضاتهِ حينَ يَراك، أنْ يغشاهُ الأمان بحضرتك، أنْ يتراقص قلبهُ فَرحًا بسَماعِ صوتك، أنْ تكونَ بسمتُكَ سبب سعادته، أنْ يكونَ كلامك مُرضيًا لعقله، أنْ تكونَ تأملاتكَ مُغذيةً لعقله، أنْ يكونَ حضورك مُميّزًا، أنْ يكونَ وجودكَ مُطمئنًا، أنْ تكونَ حُلوًا بعَينِ قلبه، فأعلم أنَّ اللَّهَ قد وضعَ لكَ القَبولَ بقلبه.

كُن على يَقينٍ بأنَّ مَن رَأكَ برَّوحِ قلبهِ وقلبِ رَّوحهِ حُلوًا لن تستطيع الدُّنيا أنْ تُغيّرَ رؤيتهُ لك؛ لأنَّ مُستقرّ الرؤية يَكمُنُ بالرَّوح، والرَّوحُ من أمرِ رَبّي.

أنْ يَجمعكَ اللَّهُ _قدرًا_ بشبيهِ رَّوحكَ دونَ سابقِ مَعرفة، فأعلم أنَّ اللَّهَ أرادَ لكَ الخير فبعثهُ إليكَ برسالة؛ كي لا تحزن على ما فات، ولا ما أصابك، ولتعلم بأنَّ اللَّهَ لن يخذلكَ أبدًا، فقط هي مسألة وقت.. أليسَ الصُبحُ بقريب؟

3_(رأيتُكَ في منامي)

قد رأيتُكَ البارحة في منامي، رأيتُكَ طيّبًا مُطيّبًا، حسنًا مُحَسّنًا، نقيًّا، جَلدًا، كريمًا، شهمًا كَعادتك، لكنَّ الذي أدخلَ السرورَ على قلبي، هو تلاوتكَ لكتابِ اللَّهِ العظيم؛ فقد كُنتَ تتلوهُ بقلبكَ لا بحنجرتك، جميلُ الصوتِ أنتَ، فصيحُ الكلامِ إنْ نَطقتَ.

رأيتُكَ وقد سُرَّ قلبي برؤياكَ، لكنْ أُخبرُكَ أمرًا.. لا تجعل هموم الحياةِ تشغلكَ عن الطاعة، فلا تؤخر صلاةً عن موعدها، ولا تهجُر القرآن الكريم، وحافظ على وردكَ من أذكارِ الصباح والمساء.

ولنا في الحُلم لقاء.

4_(أُشفِقُ عليكَ منّي)

جبلني رَبّي على بعضِ الغَيرةِ تجاهَ قاطني قلبي وفقط، كما أنَّني عنيدةٌ بعض الشيء، لكنَّني أتنازلُ عن عِنادي أمامَ رغبةَ مُحِبّيني.

ذاكرتي كَالدولفين مع مَن يُسدي إليَّ معروفًا حتّى وإنْ كانَ كلمةً طيّبة قِيلتْ لي أو عنّي، وخصوصًا النصائح الصادقة، من قلوبِ الراغبينَ في مُشاهدتي الأفضل دومًا.

وقِسْ على هذا مُعلّميني على مَرّ حياتي، فمَن يُعلّمني ولو حرفًا أجعل لهُ من ذاكرتي مكان، كذلكَ فإنَّ ذاكرتي لا تحملُ مَن طالني آذاهُ ولو بكلمة، وهذا فضلٌ كبير، أنْ تكونَ ذاكرتي جميلة بجميلِ ما تحمله، ماحيةٌ ما كانَ دونَ ذلك، فهي نفيسةٌ ولا تُضيّفُ إلَّا النفائس.

إنْ أحببتُ رأيتني فارسة مغوارة، أُغشي مَن أُحِبُّهم بالحنان، وأحملهم بقلبي، وأجعل لهم من فؤادي مَهوى، ومن رَّوحي ملاذ، ومن عقلي سُكنى.

أُشفِقُ عليكَ منّي يا مَن جُعِلتُ حظَّكَ من نساءِ الدُّنيا، قبلَ أنْ يخلقَ الرحمٰنُ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، إذ أنَّني أتعجبُني في بعضِ الأحيان، فبالكادِ قد فَهمتني، فكيفَ بكَ من فَهمي؟

هل ستعرفني كما أنا عرفتني؟

أم ستكون سطحيّ المعرفةَ بي، تَرضى بظاهري ولا تغوصُ بأعماقِ باطني، هل سيتحقّق مفهوم الشراكة بيننا رَّوحيًا، ونفسيًا، وعاطفيًا، وأخيرًا جسديًا.

هل ستصدُق مقولة أنَّكَ نصفي الثاني، وأنا كذلكَ نصفكَ الثاني؟

هل ضروريًا أنْ يكونَ بيننا بعض الشبه الشكلي، كَالملامح، والعيون، والشعر مثلًا؟

هل لا بُدَّ من تقارُبِ نبرة الصوت الخاصّة بكلينا؟

أتعلمُ يا نصفي الثاني الذي يعلمهُ رَبّي أنَّ كلينا سيكون مُختلفًا عن الآخر، كي يُعوَّض نقصنا، إذ ما ينقصني مُتوّفرٌ بك، وما ينقصكَ مُتوّفرٌ بي، وهكذا نُكمِلُ بعضينا.

أُشفِقُ عليكَ منّي لندرةِ حُبّي، فقلبي مُميّزٌ بفضلِ رَبّي، لذا ستُذهل حينَ يجمعُنا القدر، فيأذن الرحمٰن بالنصيب، ستعلمُ أنَّ الحقَّ معي حينَ أَشفقتُ عليكَ منّي.. لأنَّكَ ستَرى قلبًا ليسَ كَسائرِ القلوب، حتّى أنا أتعجبُني!

5_(بعضُ الإرثِ قلوب)

حينَ تتذوق حلاوةَ إحساسٍ لم تَذقهُ من قبل، ستعلمُ أنَّهُ إحساسٌ فريدٌ لا يتكرر ثانية؛ إذ الأحاسيسُ نعمةٌ من اللَّهِ _سبحانهُ وتعالى_ لذا وَجَبَ شُكرها بوضعها في موضعها الصحيح.

أنْ تَشُعرَ أنَّ الزمانَ قد وَقَفَ عندَ لحظةٍ بِعَينها دونَ غيرها، أنْ تَرى الدُّنيا وقد أهدتكَ أجملُ ما فيها، أنْ تفرحَ لشعورٍ لم تشعرهُ قبلَ ذاك، أنْ تَرى نفسكَ وقد أصبحَ لديكَ إرثٌ بعدَ أنْ كُنتَ لا تَملِكُ من الدُّنيا شيء، أنْ تَحفَظَ أدّق تفاصيل تلكَ الساعة الجميلة التي جَمَعَكَ بِها اللَّهُ قدرًا بمَن تُحِبّ، فأعلم أنَّ هذا الإحساس لا يتكرر.

حينَ يُهديكَ الرحمٰنُ بأحبِّ القلوبِ إليه، ستعرف أنَّ بعضَ الإرث قلوب؛ فالإرث ليسَ مالًا وعقارًا وغيرهِ من المادّياتِ فحسب، بل هُناكَ إرثٌ من نوعٍ آخر، مُختلف تمامًا عن مفهومِ الإرث السائد، وهو إرثُ القلوب، أنْ تكونَ وريثَ قلبٍ ساقهُ اللَّهُ إليك، ليُريكَ من فضلهِ أنَّ القلبَ يُمكنُ أنْ يُوّرث إنْ أَذِنَ اللَّهُ له، فوضعَ لهُ القَبولَ بقلبٍ آخر.

أنْ يكونَ إرثُكَ من الدُّنيا قلبٌ يُحِبُّ اللَّهَ ورسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فأعلم أنَّكَ ما فقدتَ شيئًا، بل ما ضاعَ عُمركَ هباءً، يكفيكَ أنْ تكونَ دفينةَ قلبٍ يَنبِض حُبًّا للَّهِ ربّ العالمين.

ولأنَّ القلوبَ بينَ أُصبعي الرحمٰن، لذا فهي على مكنونها تُحِبُّ وتُحَبُّ.

إحساسٌ رائعٌ أنْ يكونَ جُلّ ما تملِكهُ من الدُّنيا.. مُضغةٌ مخفيةٌ بينَ أضلُعِ صاحبها.

6_(شِيَم وقِيَم)

قد قَسَّمَ اللَّهُ الأرزاق، فكانَ الحُبُّ في جلالهِ رزقٌ منها، والمُتحابينَ يَظَلّهم الرحمٰنُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّه.

رزقني اللَّهُ _سُبحانَهُ وتعالى_ بأنقى الأفئدة وأطهر القلوب، ليكونوا صُحبةً لي في طريقِ الدُّنيا، ودُعائي أنْ يجمعني بِهم رَبّي في مُستقرِّ رحمته.

مِن هؤلاءِ المِنَن شيماء مُحمّد أحمد (شِيَم)، مِنّةٌ من العليِّ العظيم، أهدانيها بتدبيرٍ إلهي، على غيرِ موعد، وهكذا تكون العطايا، فتدبيرِ المُنعِمِ المنّان يسبقُ تدبير العقل البشري المحدود.

شِيَم أحببتُها في اللَّهِ ربِّ العالمين، حُبًّا خالصًا من قلبِ أمةٍ ترجو رِضا رَبّها، قد وُضِعَ لها القَبولَ بقلبي، فآنستْ بِها رَّوحي، وسَعِدَتْ بِها نفسي.

شِيَم قَيِّمَةُ القيمة، نفيسةُ المعدن، أصيلةُ الجوهر، سامقةُ القامة، رفيعةُ المكانة.

شِيَم جارةُ نياطي، حبيبةُ خافقي، أليفةُ رَّوحي، أنيسةُ نفسي، يَحميها رَبّي ولا يُريني فيها إلَّا ما يَسُّرُ خاطري.

شِيَم جميلةُ الرَّوح، صادقةُ الحِسّ، صدوقةٌ، خَلوقةٌ، نبيلةٌ حسناء.

شِيَم مَنبعُ القِيَم، مُجتهدةٌ، مُكافِحةٌ، ذكيّةٌ، مُتعاونةٌ، شامخةٌ، مُتواضعةٌ، هادِفةٌ، طامِحةٌ وغيداء.

شِيَم أُحبُّكِ كُثيرًا جدًّا، ودُعائي أنْ يحفظكِ اللَّهُ في نفسكِ ومالكِ، وبَنيكِ وزوجكِ ومَن تُحبّين.

اللهمَّ يا مَن وضعتَ لها القَبولَ بقلبي، فكانَ لها من قلبي نصيب، اللهمَّ أسعِدها سعادةً لا تشقى بعدها أبدًا، اللهمَّ بارك فيها ولها وعليها، اللهمَّ اصرف الشرَّ عنها وأوصِل الخيرَ إليها.

اللهمَّ افتح لها أبوابَ رحمتكَ ورزقك، وأبوابَ الفرجِ من عندك، اللهمَّ كُن معها ولا تَكُن عليها.

اللهمَّ يا جبّار اجبرها جبرًا يَليقُ باسمكَ الجبّار.

اللهمَّ أذهِب عنها الهَمَّ والغَمَّ والحَزن.. آمين آمين آمين، إنَّ رَبّي لسميعُ الدُعاء.

7_(كفُّ مريم)

عَمَّ الظلام مُحيطها، بحثتْ عن السببِ فوجدتهُ في القلوب، رأتْ بعَينِ قلبها أنَّ الحلّ في الإضاءة، سعتْ في البحثِ عنها فلم تجدها، كَثَّفتْ جُهدها ولكنْ دونَ جدوى.

تذكّرتْ قولَ أُمّها لها: أنَّ الحُبَّ الذي يملأُ قلبكِ بُنيّتي كفيلٌ أنْ يُضيء ظلام العالم.

ومن هُنا بدأت في إضاءةِ العالم بالحُبّ، كانَ مُحيطها هو أوّلُ ما أزالتْ عنهُ الظلام، وأبدلتهُ بنورٍ وهّاج، ثُمَّ تجوّلتْ بينَ البلدانِ لتُبدّل الظلام بضياءٍ ساطع، كَثُرتْ عنها الأقاويل؛ فهُناكَ مَن يصفها بالنورانية، وهُناكَ مَن ينعتها بالبَرَكَة، وهُناكَ مَن يُسمّيها مريم، لبركةِ هذا الاسم، وأيضًا هُناكَ مَن لا يعرفها إلَّا بالمحبوبة.

لكنَّ الأكيد الذي اِجتمعوا عليهِ هو تسمية الأماكن التي تسير منها بكفِّ مريم؛ حِفظًا للذكرى وترك الأثر.

8_(ليتهُ يعود فتعود)

لكُلٍّ مِنّا رُكنٌ خاصٌّ بذاكرتهِ يلجأ إليهِ حينَ تَضيقُ بهِ دُّنياه، ليُرَوِّحَ عن نفسهِ ولو بعض الشيء، هذا الرُكنُ الخاصّ عَصيٌّ على النسيان؛ فتراهُ شامِخًا كَالعبَّاسِ في وجهِ قِطارهِ، ويكأنَّهُ خِلٌّ وفي.

أذكُرُ حينَ تَضيقُ بيَ الحياة، أقومُ بفتحِ صندوقٍ من صناديقِ رُكني الخاصّ بذاكرتي، فأُخرِجُ منهُ ما يُسعدُ قلبي، ثُمَّ أُعاودُ تخبئتهُ من جديد؛ إذ أنَّ بعضَ الذكرياتِ يُخشى عليها، تلكَ التي أراني فيها راضية وسعيدة بما قدّرَهُ الرحمٰنُ لي.

هُناكَ ذِكرى مُتفردّة تظلُّ وثيقة الصِلة بالذاكرة حتّى الموت، ذِكرى واحدة يقف عندها العقل مُعاودًا التذكُّر، مُستمتعًا بإسترجاعها بِجُلِّ تفاصيلها، ذِكرى واحدة تعلقُ بالقلبِ والرَّوحِ والعقل.

ذِكرى واحدة حينَ أشرعُ بمُعاودتها أراني وقد تبسمَ قلبي، وسَعِدَتْ رَّوحي، ورَضِيَتْ نفسي، ولمعتْ عيناي فَرحًا ليظهر بريق لونهما العسلي، فأُردّدَ بكُلّي ليتَ الزمانُ يعودُ فتعود، ذلكَ اليوم الذي لامستْ فيهِ الفرحة شِغافَ القلب، بعدَ زمنٍ من البَّث، يومٌ لا كَغيرهِ من الأيَّام، يومٌ كَدربٍ من دروبِ الخيال، يومٌ قالَ اللَّهُ فيهِ للقلبِ كُن فَرِحًا فكان.

يومٌ واحدٌ ليتَ الزمانُ يعود فيعود.

9_(نِعمَ الرَجُل مُعلّمي)

زادني اللَّهُ من فضلهِ حينَ رزقني بالتعلُّمِ من رَجُلٍ أعطاهُ اللَّهُ من العِلمِ والخِبرةِ قدرًا عظيمًا، ورزقهُ التواضع، وحُبّ الخير للغير، بل والسعي لهم فيما يعودُ عليهم بالنفع.

رَجُلٌ تَمَيَّزَ بالتفاؤل، وتَفَرَّدَ بالاِحترام لنفسهِ قبلَ غيره، رَجُلٌ قِيمة وقامة، لا ينقصُ من قدرهِ تواضعهِ مع الصغير، ولا يزيدهُ قدرًا مُصاحبة الكبير، هو عشيرةٌ بذاتهِ.. عن مُعلّمي عادل إدريس المسلمي أتحدّث، فلنِعمَ الرَجُلُ هو.

مُعلّمي قد زادني اللَّهُ عِلمًا من عِلمِ حضرتك، مُعلّمي بُوركتَ وبُورِكَ فيك، وجزاكَ اللَّهُ خيرًا عن أَمتهِ مريم، ولا حرمنا صدقةَ عِلمكم، وحفظكم بحفظهِ إنَّهُ خيرٌ حافظًا وهو أرحمُ الراحمين.

10_(هديّةُ الرحمٰنِ لمريم)

الحمدُ لِلَّهِ الذي إذا مَنَعَ أعطى، وإذا أعطى زادَ وجاد، الحمدُ لِلَّهِ الذي يُؤخرُ لحكمة، ويمنعُ برحمة، ويغفرُ الذَلّة، الحمدُ لِلَّهِ الذي يُبعِدُ الأحبابَ ليُقرّبَ الأحِبَّاء.

ليسَ الأهل دومًا هُم مَن تربطكَ بهم الرحم، فرُبَّ أخٍ لم تلدهُ أُمّك، ورُبَّ عمٍّ لم يحملهُ ظهر جدّك، ورُبَّ خالةٍ لم تلدها جدّتك، وقِسْ على هذا الكثير.

من بابِ التحدُّثِ بنعمةِ اللَّهِ المَنّان فقد أنعمَ عليَّ بأهلٍ دونَ عصبي، وأشّقاء دونَ رَحِمي، وأقرباء دونَ دَمي، فلهُ الحمدُ الكثير، والشُكرُ الجزيل.

من بينِ هؤلاءِ أهداني شِيَم، وما أدراكَ ما شِيَم؟

قلبٌ بحُبِّ اللَّهِ يحيا، وبحُبِّ رسولهِ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم_ يتقوّى.

شِيَم رَوحٌ جَمّلها اللَّه، تسعى لتبلُغَ رضاه، زيَّن اللَّهُ قلبها بالخير، وأعانها على مُساعدةِ الغير، وميّزها عن غيرها، فهي شِيَمٌ واحدة ومَن مِثلها؟

شِيَم هديّةُ الرحمٰنِ لمريم، فهي الحبيبة، القريبة، الصاحبة، الصدوقة، الخَلوقة، الشهماء، السامقة والحسناء.

شِيَم أَمَرَ اللَّهُ قلبي فكانَ الحُبُّ في جلاله، فاللهمَّ صُحبة دُّنيا وجنّة.

11_(إلى فاطمة بلعجمية)

إليكِ أيّتُها المزيانة، يا وردةً فوّاحٌ شذاها، يا مِنّةً اللَّهُ أهداها.. يا فاطمة.

إليكِ أكتبُ هذهِ الكلمات، وإنْ بَعُدتْ بنا المسافات، فالقُرب يَكمُنُ في النبضات، أُحبُّكِ في اللَّهِ وهذا من أعظمِ النعمات، فالحُبُّ في اللَّهِ يحيا حتّى وإنْ لم نَعُدْ نحيا.

إليكِ زهرائي أزُفُ دُعائي، فلا خيَّبَ اللَّهُ فيكِ رجائي، يا أُخيّة يا صابرة على البليّة، يا جميلة ونقيّة، يا كريمة وصفيّة، يا رزينة وحيّية، يا زينة الفتيات.. يا فاطمة بلعجمية.

12_(يوسف والوردة الحمراء)

ذاتَ نهارٍ أردتُ كِتابةَ مقالٍ ما، أحضرتُ دفتري وقلمي، ثُمَّ شرعتُ في الكِتابة، ففُوجئتُ بيوسف قد جاءني وبيدهِ وردةً حمراء، اِحتضنني وأخذَ يُقبّلُني ثُمَّ أعطانيها، تبسمتُ لهُ قبلَ أنْ أسألهُ عن المُناسبة التي جعلتهُ يقتطع من مصروفهِ اليومي ليبتاعَ لي هذهِ الوردة، فكانتْ المُفاجأة؛ أخبرني يوسف أنَّ اليومَ هو عيد الأبّ، لذا قد أهداني بالوردةِ الحمراء، ثُمَّ اِحتضنني ثانيةً قائلًا لي: كُلّ سنة وأنتِ طيّبة مِاري.

ضحكتُ بعيدًا عنهُ وحَمدتُ اللَّهَ أنْ جعلني أبًا بعَينِ صغيري يوسف.

13_(أمرٌ مُشين)

حينَ يُعجبكَ نصّ لأحدهم لا تنسخهُ دونَ اسمِ صاحبهِ، فذاكَ أمرٌ مُشين؛ لأنَّ القارئ إنْ لم يَكُن عالِمًا بأسلوبِ الكاتب صاحب النصّ سيظُنّ أنَّ الناقل هو صاحبه، وهذا طبيعي طالما لم يُكتَب اسم الكاتب أسفل النصّ، والقارئ ليسَ مُنّجمًا كي يَعلمَ اسم الكاتب دونَ أنْ يراهُ.

حنانيكم أيُّها الناقلونَ بالكُتّابِ فواللَّهِ ليسَ الأمر سهلًا كما تظنّونَ، فالكاتب حينَ يُمسكُ بقلمهِ يُخرج لكم من مكنونِ مشاعرهِ، فمَن يأخذ كلماتهِ مُتعمّدًا حذف اسمه ما هو إلَّا مُعتدٍ على حقّ الملكية الفكرية لهُ وانتهاك خصوصيته، كما أنَّهُ يقع في ذنبٍ عظيم فبفعلهِ ذاكَ يُعَدُّ سارقًا وإنْ كانَ غير قاصد، والسرقةُ سرقة لا فرقَ فيها بينَ تنوعِ المسروقات، فمَن يسرِقُ جَملًا كَمن يسرِقُ حرفًا، وهي مُحرّمة بشرعِ اللَّهِ ورسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ما أودُّ قولهُ هو طالما أعجبكَ نصّ انسخهُ كما تشاء مع الإحتفاظ بحقِّ كاتبهِ، لكن أنْ تقولَ لي أنَّكَ لم تنسبهُ لذاتكَ وأنَّكَ مُعجبٌ بكلماتِ الكاتب، إذًا برهن لي قولكَ بإنسابِ النصّ لصاحبهِ، أمَّا أنْ تقومَ بعرضهِ على حسابكَ الخاصّ دونَ ذِكر اسم الكاتب فهذا هو الإعتداء على حقِّ كاتبهِ، أنتَ لم تعتدي فقط على كلماتٍ؛ فهي ليستْ مُجرد كلمات بل أنتَ تعتدي على مشاعر ووجدان المؤلف، إذ أنَّهُ قد نهلَ من مكنونِ مشاعرهِ فحبرهنَّ بوجدانهِ.

ليسَ عيبًا أنْ نُخطئ لكنَّ العيبَ أنْ نُصّرَ على الخطأ.

أظنُّ أنَّهُ لا أحد في هذهِ الحياةِ غنيٌّ عن رحمةِ اللَّهِ ومغفرتهِ، فكُلّنا يُذنب وكُلّنا يُخطئ وكُلّنا لديهِ من السيئاتِ ما يفوق الجبال في إرتفاعها، لكنَّ الأفضلَ فينا مَن إذا ذّكّرتهُ باللَّهِ تابَ وأناب.

لسنا خالينَ من السيئاتِ كي نحملَ أوزارَ غيرنا أيًّا كانتْ الصورة التي تودي بنا إلى ذلك.

لا تستسهل أمرًا ولا تتبع باطل وإنْ اتبعهُ الجميع، لا تترك حقّكَ يضيع ما دُمتَ قادرًا على المُحافظة عليهِ والمُطالبة بهِ، كُن قويًا لأنَّ اللَّهَ معك، مُطمئنًّا لأنَّ اللَّهَ ناصرك، لا تقنط فاللَّهُ راحمك.

14_(ويُسبّحُ الرَعْدُ بِحَمده)

تسامرتُ مع إخوتي ثُمَّ ذهبتُ للنوم؛ إذ أنَّني لا أُطيقُ السَهَرَ إلى السَحورِ ولا أُحبّذه، لأَفيقَ على همسِ يوسف أخي، ليُخبرني أنَّ السماءَ قد فُتِحَتْ أبوابها بإذنِ رَبّها فأخذَ المطرَ في الهطول، وأعطاني بعض الماء لأحتسيهِ قبلَ أذان الفجر.

حَسَوْتُ حَسَواتٍ مِنْ ماء، وإذ بصوتِ الرَعْدِ يَشُّق سكون السَحر، اِقتربَ منّي يوسف ليَهمِسَ لي بأنَّ الصوتَ قد أخافه، طمأنتهُ وطلبتُ منهُ أنْ يَذكُرَ اللَّه، وأخبرتهُ بأنَّ صوتَ الرَعْد يبعثُ بالخشوع؛ إذ يُسبّحُ بِحَمدِ رَبّه.

سكونٌ رهيب لا يقطعهُ إلَّا صوت المطر، والذي يُريحُ النفسَ بشكلٍ عجيب، فهذا الصوت سببٌ للهدوء، وباعثٌ للشعورِ بالسَكينة.

حينَ أسمعُ صوت الرَعْد يكادُ قلبي يقفزُ من قفصي الصدري، فَرحًا وخشوعًا وتذكرةً لي بتسبيحهِ للَّهِ ربّ العالمين.

شعورٌ رائع ينتابُني حالَ سماعي صوت الرعْد، لا أدري كيفَ أصفِه؟

فبعض الشعور لا يُمكن وصفه، فقط يُحَسّ، وهذا بخصوصِ الجميلِ منه، بل الذي فاقَ حَدَّ الجمالِ والروعة، ولا أروع من سماعِ صوتِ الرعْد وهو يُسبّحُ بِحَمدِ رَبّه.

أوّلُ ما يَخطرُ ببالي عندَ سماعِ صوت الرعْد قولَ اللَّهِ تعالى: "ويُسبِّحُ الرَعْدُ بِحَمده" فأراني اِزددتُ خُشوعًا للَّهِ رَبّي.

أتأملُ صوتَ الرَعْد فأرى عَظمةَ رَبّي قد تجلّتْ عليه، فأحمدُ رَبّي العظيم.

يكفيني أنَّ إلهَ العالمينَ رَبّي.

سُبحانَ مَن حَرّرني بالعُبوديةِ له!

سُبحانَ مَن أعزَّني بذُلّي له!

سُبحانَ مَن أغناني بفقري إليه!

سُبحانَ مَن قَوّاني بضعفي بينَ يديه!

سُبحانَ مَن جبرني بإنكساري له!

سُبحانَ رَبّي العظيم الذي ليسَ أحدٌ أعظمَ منه!

سُبحانَ مَن يُسبِّحُ الرَعْدُ بِحَمدهِ والملائكةُ من خِيفته!

جاءَ في تفسيرِ الإمام الطبري _رَحِمَهُ اللَّه_ بخصوصِ آية (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ): أنَّ الرَعْدَ يُعظِّمُ اللَّهَ _سبحانهُ وتعالى_ ويُمجِّدهُ فيُثني عليهِ بصفاتهِ، ويُنّزهُ ممّا أضافَ إليهِ أهل الشرك بهِ، وممّا وصفوهُ بهِ من اِتخاذِ الصاحبة والولد، تعالى رَبُّنا وتقدّس.

15_(مِنَح رمضان الجزء الأوّل)

خَلَقَ اللَّهُ سُبحانَهُ وتعالى الدُّنيا واِختصَ بعض الأشهُرِ منها بالفضل، كَشهرِ رمضان المُبارك، فبهِ من المِنَحِ ما فاقتْ مِنَح الأيَّام العاديّة، كما عَظَّمهُ اللَّهُ فذكرهُ باسمهِ في كتابهِ العزيز، فقالَ عَزَّ مِن قائل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم "شُهرُ رمضان الذي أُنزلَ فيهِ القرآن".

وإذا ذَكَرَ اللَّهُ شيئًا زادَ هذا الشيء عظمةً وبهاءً بذكرهِ سُبحانَهُ لهُ.

رمضان أيّ الحَرّ الشديد، معنى هذا أنَّهُ حينَ فُرِضَ صيام شهر رمضان كانَ الحَرّ شديدًا فجاء الاسم مُناسبًا للحالة.

يُقالُ أيضًا أنَّ الجوفَ إذا خلا من الطعامِ والشرابِ كانَ رَمِضًا أيّ اِشتدَّ حَرّه، وهذا ما يتطابق مع طبيعةِ الصومِ عندَ المُسلم.

فَرَضَ اللَّهُ سُبحانَهُ وتعالى صوم شهر رمضان في السنةِ الثانيةِ من هِجرةِ المُصطفى _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم_ ليكونَ شهر رمضان هو شهر الأُمّة فيما بعد؛ ففيهِ يجتمع المُسلمون على الصومِ وفِعل الخيرات وترك المُنكرات، وكذا مُضاعفة الطاعات.

شهرُ رمضان شهرُ البركاتِ والعطيّات، شُهرٌ أوحد لا يتكرر مرّتينِ في العام؛ لذا فمن السفهِ أنْ ينقضي رمضان هباءً منثورًا، كأنْ يقضيهِ أحدهم في مُشاهدةِ التلفاز، والذي يعجّ بالمُسلسلاتِ الرمضانية، التي اِختصوا بها هذا الشهر الفضيل.

فبدلًا من أنْ يقضيهِ في طاعةِ الرحمٰن، يقضيهِ في طاعةِ الشّيطان، ليكونَ رمضان عندهُ كَغيرهِ من الأيَّام، بل وينتظرهُ لمُشاهدةِ أحدث الأعمال الدرامية كما عَوّدهُ صُنّاعها.

16_(مِنَح رمضان الجزء الثاني)

مَنَّ اللَّهُ علينا بصيامِ رمضان والذي هو الرُكنُ الرابع من أركانِ الإسلام، وزادنا فضلًا سُبحانَهُ وتعالى حينَ جَعَلَ لهُ شهرًا كاملًا، فلا هو يومٌ أو أسبوع وإنَّما ثلاثونَ يومًا، مُنحنا إيَّاها لنُضاعف الطاعات، كما هي مُضاعفة الأجور.

ومن شُكرِ اللَّهِ على مِنَحهِ حُسن اِستغلالها، والتأدُبِ معها، وعدم هدرها وتجاهُلها.

يستعدّ المُسلم لصيامِ شهر رمضان بعقدِ النيّة، والتجهيز النفسي والبدني، فالجسد حينَ يبدأ رمضان تراهُ رشيقًا قويًا نشيطًا، لا هو خامل أو مُتكاسل.

كما أنَّ أجهزةَ الجسدِ تسعد بالصيام؛ حيثُ تأخذ فترةَ راحة حينَ تخفّ الأعباء عليها، فالجهاز المناعي يَزداد قُوّة ومَنعة، والجهاز الهضمي يعملُ بخِفّة، والجهاز العصبي يسترخي، وكذا باقي الأجهزة تَقوى وتَنشَط.

شهر رمضان الفضيل، شهرُ الطاعةِ المُضاعفة، شهر المُنافسة والتسابُق على فِعلِ الخيرات، شهر التراحُم والمودّة، والسرور والمحبّة.

شهر رمضان هو مِنحة إلهية في حَدِّ ذاته؛ خَصَّ اللَّهُ بها عِبادهُ المُسلمون، وإنْ كانَ الصيام قد فُرِضَ على مَن كانوا قبلنا، إلَّا أنَّنا قد

تفردنا بهِ على النحوِ المعلوم منهُ مُذ فُرِضَ على رسولنا _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم_ في السنةِ الثانية من الهجرةِ النبوية.

وقد خَصَّ اللَّهُ سُبحانَهُ وتعالى شهر رمضان بعطايا عظيمة، وآلاءٍ جليلة، نذكُرُ بعضًا منها في المقالِ القادم.

17_(مِنَح رمضان الجزء الثالث)

مِنحَة التراويح، والتي هي من شعائرِ ليالي رمضان، رغم أنَّها هي صلاة قيام الليل، لكنَّ الأمرَ يختلف في رمضان؛ حيثُ يجتمع النَّاس على صلاتها جماعةً في أوّلِ الليل، ويُعَدُّ سيدنا عُمر بن الخطّاب _رَضيَ اللَّهُ عنه_ هو أوّل مَن جَمَعَ النَّاس في التراويح بعد أنْ كانوا يُؤدونها فُرادى.

أيضًا مِنحَة الزمان، فقد بارِكَ اللَّهُ أيَّام رمضان المعدودات، ليَكُن بإستطاعةِ المُسلم أنْ يفعلَ الكثير من الطاعات، كَصلاةٍ وصيامٍ وتلاوةِ القرآن الكريم.

مِنحَة مُضاعفة الأجور، فكما أنَّ السيئاتَ تُعظَّم حُرمة اِرتكابها في رمضان، فكذلكَ تُضاعف الحسنات، وأجور الطاعات.

مِنحَة إجابة الدعوات، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ _رَضيَ اللَّهُ عنه_ قَالَ: قال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَعِزَّتِى لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ".

أيضًا قولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:" للصائمِ فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطرَ فَرِحَ بفطره، وإذا لقي ربَّه فَرِحَ بصومه".

وتُعَدُّ فرحة المُسلم بالطاعةِ في رمضان مِنحَة من المِنَحِ الربَّانية.

مِنحَة البَركة، ففي رمضان تحلّ البَركة في كُلّ شيء، حتّى يلحظها القاصي والداني، ودلالة على هذا مقولة "رمضان كريم" لكنَّ اللَّهَ أكرم، فهو الذي جادَ علينا برمضان ومِنحَهِ وفضائله.

18_(مِنَح رمضان الجزء الرابع)

رمضان مُثقِلُ ميزان الحسنات؛ فالذكي مَن يغتنم دقائقَهُ وساعاتهُ في طاعةِ المولى عزَّ وجلّ، والفائز مَن يُسارِعُ في فِعلِ الخيراتِ اِبتغاء مرضات الرحمٰن.

وشاهدُ رمضان وَجَبَ عليهِ صومه، ما لم يمنعهُ مانع، كَالسفرِ والمرضِ للرجال، وكذلكَ النساء إضافةً إلى الحَيضِ والنِفاس.

يتنَّقلُ المُسلمُ بينَ الطاعاتِ تَنَّقُلِ النحلةَ بينَ الأزهار، فيتغذّى روحيًا ويَقوى بدنيًا، ويَرقى نفسيًا.

رمضان شهرُ الطاعاتِ لا شهرَ المُسلسلات، ذَكَرَهُ اللَّهُ _سُبحانَهُ وتعالى_ فقالَ عَزَّ مِن قائل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم "شُهرُ رمضان الذي أُنزلَ فيهِ القرآن"، إذًا ليسَ من المعقولِ إضاعة شهر القرآن في مُشاهدةِ التلفاز، أو السهر في الشوارع دونَ نفعٍ أو فائدة.

التلفاز موجودٌ طِيلة العام، يعجّ بالمعروضات على اِختلافِ أنواعها، لكنْ لماذا يتمّ حصر شهر رمضان بالأعمال الدرامية الجديدة؟

لماذا لا تُعرَض هذهِ المُسلسلات إلَّا في رمضان؟

بل لماذا يتمّ عرض أعمالٍ لا تتناسب قطعيًا مع حُرمةِ الشهر الفضيل؟

لماذا يُصّر صُنّاع الدراما على اِنتهاكِ حُرمةِ شهر رمضان؟

شهر رمضان إنْ أتى وجَبَ على المُسلمِ اِغتنامه؛ لأنَّهُ فُرصة ربَّانية لزيادةِ الحسنات، والفُرَص لا تُعَوّض إلى يومِ القيامة، إذ الأعمارُ بيدِ اللَّه سُبحانَهُ وتعالى، فَكَم مِن شاهدٍ لرمضان الماضي، غائبًا عن رمضاننا القادم!

19_(مِنَح رمضان الجزء الخامس والأخير)

البعضُ يَحصرُ شهر رمضان في تنوعِ الطعام، بل وزيادتهِ عن الحاجة، فتراهُ يهتم بخزينِ البطنِ دونَ اِهتمامهِ بخزينِ الرَّوح؛ كَالتزوّدِ بالتقوى، والإلتزام بطاعةِ الرحمٰن قدرَ المُستطاع.

واللَّهِ ما كانَ رمضان للطعامِ والشرابِ ومُتابعةِ الأعمال المُتلفزة، لكنَّهُ مِنَحة ربَّانية وَجَبَ تقديرها، ولا أقولُ لا يأكل الصائم ما يحلو له، بل على العكسِ تمامًا فمَن اِستطاعَ أنْ يبتاعَ ما يشتهيهِ من الطعامِ النافعِ فليفعل؛ حيثُ يتحوّل الطعام بعد تناولهِ إلى طاقةٍ تَمدّ الجسد بالقوة فيما بعد، وبالتالي تُعينهُ على طاعةِ الرحمٰن.

ينتظر المُسلم شهر رمضان بلهفةٍ وشوق؛ لعِلمهِ بعظيمِ فضله، وجزيلِ أجره، وتَميُّزِهِ عن غيرهِ مِن الأشهُر، فيُسارع في مُنافسةِ الزمان بختمِ القرآن، وصحيحِ الصيام، وأداءِ القيام، وعدم اللغو في الكلام.

شهر رمضان الراعي الرسمي لمَن أرادَ أنْ يتغيّرَ للأفضلِ على الإطلاق؛ فمَن يُحاولُ الإقلاع عن التدخين لكنَّهُ يَفشل، يَنوي صوم رمضان فيترك السجائر لساعاتٍ طويلة، دونَ أنْ يقتربَ منها مُجرد اِقتراب، يعلمُ حينها أنَّهُ يستطيع تركها للأبدِ لكنَّهُ كانَ يتكاسل.

ومَن ينامُ عن قيامِ الليل في الأيَّام العاديّة، تراهُ مُسارعًا في إقامةِ صلاةِ التراويح، ومُحافِظًا على وجودهِ في الصفِّ الأوّل، حينها يتأكد لهُ أنَّ بإستطاعتهِ المُحافظة على قيامِ الليل طِيلة العام.

ومَن يتكاسل عن صيامِ النافلة، تراهُ صائمًا الساعات الطوال من نهارِ رمضان، وقتها تَقوى عزيمتهُ لأنْ يصومَ النافلة دونَ تكاسُل.

أيضًا مَن يتصدّق في رمضان، يشعُرُ بالرأفةِ تجاهَ الفُقراء _ماديًّا_ فتراهُ بعدَ رمضان يتصدّق دونَ أنْ ينتظرَ رمضان القادم، بعدَ أنْ ذاقَ حلاوة الطاعة بالتقرُّبِ من اللَّه.

والأمثلة في ذلكَ كثيرة لكنَّني ذكرتُ بعضها كَمثالٍ لا كَالحصر.

20_(رمضان شهرٌ يتجدّد فيهِ العزم)

قد مضى ستةٌ وعشرونَ يومًا من رمضان، اِنقضتْ سريعًا جدًّا، وأضحى اليوم هو آخر جُمعة من هذا الشهرِ الفضيل، الذي بارَكَ اللَّهُ في عُمري وبَلّغنيه، كما أعانني على صومه، ورزقني بَركته فلهُ الحمدُ والمِنّة.

رمضان شهرٌ يَعزُّ على النفسِ توديعه، إذ مَيَّزهُ الرحمٰنُ بمَيزاتٍ جعلتهُ شهرًا تُحِبُّهُ الرَّوح، وتفرِح بهِ النفس، ويسعد فيهِ القلب، ويرتاح فيهِ الجسد، كما يتجدّد فيهِ العزم.

مَن فاتهُ رمضان فقد فاتهُ الخير، وفاتتهُ البَركة. رمضان شهرٌ واحدٌ يأتينا كُلّ عام، مِنّا مَن حضرهُ العام الماضي لكنَّهُ غابَ عنهُ هذا العام، وفينا مَن شَهِدَهُ هذا العام واللَّهُ أعلم إنْ كانَ سيشهدهُ في العامِ القادم.. أم سيُغيّبهُ الموت.

اللهمَّ اغفر لي ما فات، واعصمني فيما هو آت، وأعزَّني بطاعتك، ولا تَذُلّني بمعصيتك، وكُن معي ولا تَكُن عليَّ يا اللَّه.

اللهمَّ إنَّكَ عفوٌ تُحِبُّ العفو فاعفُ عنّي.

اللهمَّ لا تُمضي رمضان إلَّا وقد غفرتَ لي.

اللهمَّ تقبلّني في الصالحين.

اللهمَّ بَلّغني رمضان أعوامًا عديدة وأزمنةً مديدة يا ربّ العالمين.

مريم توركان